

البابُ الرابعُ والعشرون

في ذكرِ الغوثِ والتظلمِ، وسدِّ الخللِ والتثلُّمِ

قال الله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (1).

وقال رسول الله ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم فإنها تحمل على الغمام، يقول الله: «وعزتي وجلالي لأنصرته، ولو بعد حين».

وقال ﷺ: «لا قدسَ اللهُ أمةً لا يأخذ قوبها لضعيفها حقَّه غيرَ متعجِّ.

قال: وقامَ رجلٌ إلى عمرَ بنِ عبدِ العزيز، فقال:

ما زلتَ تطلبُ مظلوماً لتتصِفَه

فقد أتاكَ بعيدُ الدرِّ مظلومٌ

فقال له عمرُ: ما شأنك ويحك؟ قال: إن أباك ظلمني، وغصبني،

وأخذ ضيعتي، وتعدى علي، فقال عمر: أما كان كلاماً أحسن من هذا؟ ورد عليه ضيعتَه.

قال: ووَشَى رجلٌ بَقِيسِ بنِ سَعْدِ، إلى الوليدِ بنِ عبدِ الملك، بأنه يطعنُ

على الأمراءِ، فأرسلَ إليه، فأتاه وهو يرتعد خوفاً، والرجلُ الذي وشى به

عنده، فسأله عن ذلك فأنكر، والتفتَ الوليدُ إلى الرجلِ وقال: يا قيس إن

هذا يشهد عليك فتظر إليه فقال: يا هذا هكذا قلتُ؟ قال: نعم، فنكسَ

(1) النساء: الآية (148).

قيس رأسه ساعةً، وجعل ينكت في الأرض، ثم رفع رأسه، فقال: يا رب إن كنت تعلم أنه يشهد علي بما لم أقله فأرني مَصْرَعَهُ فانكبُّ الرجل على وجهه، فلم يزل يضطربُ، حتى مات.

وقال ابن القريّة للحجاج في كلام له: أقلني عَثْرَتِي وأسفني رِيقَتِي، فإنه لا بدُّ للجوادِ من كِبْوَةٍ، وللسيفِ من نُبْوَةٍ، وللحليمِ من هَفْوَةٍ، فقال الحجاجُ: كلا والله حتى أوردك جهنمَ، ألسَتَ القائل لابنِ الأشعثِ: تغدُّ بالحجاجِ قبل أن يتعشى بك؟ ألم يكن في خُمُولِ من الديار، وتضعُضِ من الهيبة، وعدمِ من المالِ، وكَدِّ من العيشِ، وإياسِ من بلوغِ ما بلغتَ، وليتَكَ ولايةُ الراجي عندك الخير، فلم أرَ عندك الخير، ثم قال: يا غلامُ اتنتي بالحربة، فأتاه بها فهزها هزَةً فجزعَ ابنُ القريّة عند ذلك، وقال: دعني أتكلم بكلماتِ صفوفِ الرُكْبِ، وقوفِ، تَكُنْ مثلاً من بعدي، قال: هاتِ ولكنهن لن ينجينَكَ، قال: لكلِّ جوادٍ كِبْوَةٌ، ولكلِّ صارمٍ نُبْوَةٌ، ولكلِّ حليمٍ هَفْوَةٌ، ولكلِّ عالمٍ زَلَّةٌ، ولكلِّ مجتهدٍ فَتْرَةٌ، ولكلِّ شجاعٍ سهوَةٌ ولكلِّ مذنبٍ توبَةٌ، قال: ثم ضربَ الحربةَ على نُتْدُوتهِ فبهره، ثم قال: هكذا تَشَخَّبُ يا ابنِ القريّة أوداجُ النُمرةِ ثم قال: لقد فاتَ علمٌ كثيرٌ، ومنطقٌ بليغٌ، يا غلمانُ جُرُّوهُ.

قال: وقديمُ أعرابيُّ على هشامِ بنِ عبدِ الملكِ، وقال: أيها الأميرُ أتت على الناسِ سنون ثلاثٌ أما الأولى فأكلتِ الشحمَ، وأما الثانيةُ فأكلتِ اللحمَ، وأما الثالثةُ فبَهَضتِ العظمَ، وعندك فضولٌ مالٍ فإن كانتَ لله، فاقسمها بين عبادِ الله، وإن كانتَ لهم، فلم تحظرها عنهم؟ وإن كانتَ لكم فتصدق، فإن الله يجزي المتصدقين.

الحكاية

حكى: أنه كان في الزمن الأول ملك وله ابن كان ولي عهد، فمر
 الابن يوماً على قرية، فسقط فيها من الفرس، وانكسر، فغضب الملك
 على أهل تلك القرية، وأمر بتخريبها ومعاقبة أهلها، فاجتمع إليه أهل
 القرية، وتضرعوا إليه، فلم يسمع ولم يلتفت إليهم، وكان قد بعث إليهم
 الأفيال يقطعوا أشجارها، ويخربوا عمرانها، ويقتلوا أهلها، فلما أسوا منه،
 تضرعوا إلى الله تعالى، ودعوه مخلصين، إذ جاء فارس من الله، فصاح
 على الأفيال، فرجع عليهم الأفيال، وكبسوهم جميعاً، حتى هلك الملك فيما
 بينهم، فلم يبق منهم عين تطرف.

